المطهري– والاجتهاد الفكريّ

الشيخ شفيق جرادي

الكلمات المفتاحية: شفيق جرادي، مرتضى مطهري، الاجتهاد، الإصلاح، المدرسة الصدرائية.

خصائص فكر العلامة المطهري

إننا وإن كان نعتقد أن الكلام حول الخصائص الفكرية لهذا الراحل الكبير كثيرة، وهي تحتاج لجهد لا يسعه هذا المقام هنا، لكن سأذكر بعضًا من تلك الخصائص:

أوّلًا: الرسالية في الطرح

نوعان من الناس هم الذين يتصدّون للمعالجات الفكرية والفلسفية على مستوى الكتابة والبحث، النوع الأول هو الذي يكتب لأنه يمتهن الكتابة، وإنما يعرض الأفكار على سبيل الرصد والتدقيق، والآخر هو الذي، إنما يتوجه للكتابة بغية بعث الأفكار وبعث الروح بالفكر... يقدّم ما يؤمن به بلغة تواصلية ويدافع عن الأمور التي يتبناها بمرونة وثقة. فإذا حقق أو دقّق لا لمهنة التزمها، بل لحق أراد إصابته. وهذا ما كان عليه الشيخ الشهيد الذي يذكر أنه منذ أن حمل القلم فللدفاع عن معتقده الفكري والإيماني الذي هو الإسلام الحنيف.

من هنا تبرز الرسالية بوضوح في إصلاحية واجتهادية الشهيد المطهري، وهي من الأمور التي ميزته عن مفكرين من أمثال على شريعتي...

ثانيًا: الانتماء إلى مدرسة الصدرائية الجديدة

حينما أتحدّث حول الصدرائية الجديدة، فإنما أقصد أستاذها الأكبر، العلّامة الطباطبائي، وهنا بودي القول: إن مساهمة الشهيد المطهري فيها كانت على مستويات ثلاث:

المستوى الأوّل: شرح قواعد ومكامن الثراء في تلك المدرسة، إذ لولاه لما ظهر للناس فرادة أطروحات العلّامة الطباطبائي سواءً منها الفلسفية التقليدية، أو تلك التي سعى لتطويرها العلّامة المقدّس.

المستوى الثاني: تفريع الكلام والمباحث الناتجة عن الصدرائية الجديدة خاصة في فلسفة التاريخ والاجتماع.

المستوى الثالث: هو في الالتحاق بركب المؤسّسين لهذه المدرسة في أفقها الحكمي الذي أراد من خلاله أن يستكشف روح العقيدة والأخلاق والشريعة.

ثالثًا: الغاية التجديدية

لقد أشار الشهيد مطهري مرة إلى أمر بالغ في الأهمية وذكره على سبيل الإشكالية، حينما قال: إن عالم الفكر والثقافة في الغرب حينما يود التعرف على الأفكار إنما يعود لمرجعيات معاصرة، بينما العكس هو في عالم الثقافة والفكر الإسلاميين، فإننا نعود دومًا للتراث والماضي لتثبيت وجهة ما من النظر. وهذا يعني أننا نعاني من انتكاسة في القدرة على الاجتهاد.

من هنا، فلقد سعى هذا الكبير بفكره وشهادته لتقديم أطروحات معاصرة تصلح لتحقيق مثل هذه الغاية. والباب في ظني ما زال مفتوحًا لكل مفكّر ومجتهد قاصد حركة التجديد والاجتهاد الفكري في عالم المسلمين.

وليس المقصود هنا، نفي الماضي والتراث كما عليه الغرب، بل المقصود أن نراكم معرفيًّا بخط تواصلي تكاملي بين ما فيه تراث وما فيه المعاصرة، لنضفي على المعاصرة كل جديد وجدّي واجتهادي.

بلوعة أقول: رحم الله شهيدنا المطهري، وأخشى أن لا نصل لتحقيق هذا المرام من حراكه وغائيته الفكرية.. لكن إذا كان الخير في هذه الأمة لا ينقطع، فالأمل ينبغي أن لا ينقطع أيضًا بالوصول لنظام إسلامي – فكري اجتهادي عميق ومعاصر... **وللحديث صلة**.